الديمقراطي العلماني في كل فلسطين زور الادعاء الاميركي ـ والغربي العام ـ بأن مفخرة كيانه انه مجتمع تذوب فيه الخلفيات العرقية واللونية والدينية في حين ان كل ما وجده معظم سياسيي ومعلقي الولايات المتحدة هو إن تصور الثورة الفلسطينية ـ او ان حلم الثورة الفلسطينية كما قال ياسر عرفات ـ يعمل على ما يكاد يكون اجترارا للتجربة التعددية الفذة التي تدّعي الولايات المتحدة انها تعيشها .

والغرب ـ واعظم دوله الولايات المتحدة ـ لم يتعود بعد ان تكشف له ازدواجية مقاييسه ، لانه اذا ما وضحت هذه الازدواجية أمام رأيه العام فاما ان يقرر الغرب ـ وكبرى دوله الولايات المتحدة ـ ان تجربته كاذبة او ان تبنيه لاسرائيل واهدافها مناقض لمعطيات تجربته الذاتية . واستمرار الثورة الفلسطينية في التزام هذا التصور المقتحم صار عاملا رئيسيا دافعا الى جعل المجتمعات ، كل المجتمعات ، تجابه ذاتها وتجد نفسها مضطرة لان تستجيب للتحدي الفكري الذي تشكله الثورة الفلسطينية او ان تجيب على الاسئلة التي يطرحها تصور الثورة الفلسطينية على كافة الاصعدة .

ان تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع الديمقـراطي العلماني على كل ارض فلسطين كجواب للنظرية العرقية الطائفية الاستيطانية التي تشكلها الصهيونية يهز دائرة يهود العالم في الصميم اذ ان هذا التصور الثوري الفلسطيني يضع نفسه في حالة تناقض كامل مع ما تعتبره الصهيونية من مسلمات . فالصهيونية تريد ان ترسخ عند اليهود قناعة بأن اللاسامية في بعديها ـ التمييزي والاضطهادي ـ حالة ثابتة دائمة من حيث كونها كامنة في المعادلة البشرية . أي أن الصهيونية تعتبر ان اليهودي هو في حالة اغتراب دائم من حيث « خصوصية » تجربته التراثية والانسانية ، فهـكذا تعتبر ايضا اللاسامية بأن « خصوصية » التجربة الفريدة للانسان اليهودي تجعله منسلخا عن مجالات التفاعل والتعامل وبالتالي تؤكد حالة اللاانتماء الى المجتمع الذي هو مواطن فيه . بمعنى آخر فان الصهيونية واللاسامية تنطلقان من فرضية خاطئة رجعية متخلفة وهي حتمية اللاانتماء عند كل يهودي .

ولئن كان البعد الاضطهادي الذي عاناه معظم يهود المانيا النازية سهّـل تمرير الصهيونية كاحدى الحلول لمآسي تجربة اليهود في أوروبا فان هذا لا ينفي مطلقا ان التمرير شيء والاقتناع بالحل الصهيوني شيء آخر ، فتمرير الصهيونية صار ممكنا بالشكل الذي حصل نتيجة عقدة الاثم الجماعية التي شعرها العالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية . جاءت الصهيونية تصر ان اليهود بحاجة الى تطوير « البيت القومي » الذي أمنه الوعد الاستعماري لبلفور نحو دولة صهيونية في فلسطين .

وجد العالم الغربي نفسه امام الخيار الصهيوني عاجزا عن مناقشة خيار غـير الخيار الصهيوني . لم يجيء الغرب ليقول ان انهيار النازية وسحق مؤسساتها تعني انتصارا للقيم الديمقراطية . الصهيونية وحدها نشطت في استقطاب معاناة اليهود بعد تجربتهم المريرة المأساوية مع النازية . وكان الغرب خارجا من الحرب رغم انتصاره ممزقا يلملم جراحاته ومؤسساته . طرحت الصهيونية نفسها حلا جاهزا فالتقفه الغرب بعد ان توجهت الصهيونية الى ربط نفسها مجددا مع محور القوة الجديد للامبريالية ـ أي مع الولايات المتحدة ، فكان ان فرضت هذه الاخيرة على الامم المتحدة قرار التقسيم ومررت الصهيونية ذاتها حلا لما سمي « بالمشكلة اليهودية » .

قامت الدولة الصهيونية واغلقت امام العالم وامام يهود العالم لمدة طويلة باب الاجتهاد واجهضت امام اليهود بالذات كل الخيارات الديمقراطية والانسانية التي من شأنها تأكيد حقهم في الانتماء الى اوطان تواجدهم والتي كان لا بد لها ان تحفز التصاقهم